وقرأ الجمهور (يسيركم) بتحتية في أوله مضمومة فسين مهملة بعدها تحتية بعدها راء من السير أي يجعلكم تسيرون . وقرأه ابن عامر وأبو جعفر (ينشركم) بتحتية مفتوحة في أوله بعدها نون ثم شين معجمة ثم راء من النشر وهو التفريق على نحو قوله تعالى (إذا أنتم بشر تنتشرون) وقوله (فانتشروا في الأرض) . قال ابن عطية عن عوف بن أبي جميلة وأبي الزغل : كانوا " أي أهل الكوفة " يقرأون (ينشركم) فنظروا في مصحف عثمان بن عفان فوجدوها (يسيركم) " أي بتحتية فسين مهملة فتحتية " فأول من كتبها كذلك الحجاج بن يوسف أي أمر بكتبها في مصاحف أهل الكوفة .

و (حتى) غاية للتسيير . وهي هنا ابتدائية أعقبت بحرف المفاجأة وجوابه والجملة والغاية هي مفاد جواب (إذا) وهو قوله (جاءتها ريح عاصف) فمجيء الريح العاصف هو غاية التسيير الهنيء المنعم به إذ حينئذ ينقلب التسيير كارثة ومصيبة .

والفلك : اسم لمركب البحر واسم جمع له بصيغة واحدة وقد تقدم عند قوله تعالى (والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس) في سورة البقرة . وهو هنا مراد به الجمع .

والجري : السير السريع في الأرض أو في البحر قال تعالى (باسم ا مجراها) والظاهر أنه حقيقة فيهما .

والريح مؤنثة في كلام العرب وتقدم في قوله (وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته) في سورة الأعراف . والطيبة : الملائمة الرفيقة بالراكبين .

والطيب : الموصوف بالطيب الشديد . وأصل معنى الطيب الملاءمة فيما يراد من الشيء كقوله تعالى (فلنحيينه حياة طيبة) ويقال : طاب له المقام في مكان كذا . ومنه سمي الشيء الذي له ريح وعرف طيبا .

وجملة (جاءتها ريح عاصف) جواب (إذا) . وفي ذكر جريهن بريح طيبة وفرحهم بها إيماء إلى أن مجيء العاصفة حدث فجأة دون توقع من دلالة علامات النوتية كما هو الغالب . وفيه إيماء إلى أن ذلك بتقدير مراد تعالى ليخوفهم ويذكرهم بوحدانيته .

وضمير (جاءتها) عائد إلى (الفلك) لأن جمع غير العاقل يعامل معاملة المفرد المؤنث .

والعاصف : وصف خاص بالريح أي شديدة السرعة . وإنما لم تلحقه علامة التأنيث لأنه مختص بوصف الريح فاستغنى عن التأنيث مثل : نافس وحائض ومرضع فشاع استعماله كذلك وذكر وصفا للريح فبقي لا تلحقه التاء . وقالوا : إنما لم تلحقه التاء لأنه في معنى النسب مثل : لابن وتامر وفيه نظر .

ومعنى (من كل مكان) من كل جهة من جهات الفلك فالابتداء الذي تفيده (من) ابتداء الأمكنة المتجهة إلى الفلك .

ومعنى (أحيط بهم) أخذوا وأهلكوا فالعرب يقولون : أحاط العدو بالقبيلة إذا تمكن منها وغلبها لأن الإحاطة بها تدل على الإحداق بها وتطويقها . ولما كان ذلك هزيمة وامتلاكا لها صار ترتيب (أحيط بهم) استعارة تمثيلية للهلاك كما تقدم في قوله تعالى (وا محيط بالكافرين) وقوله تعالى (لتأتنني به إلا أن يحاط بكم) وقوله (وأحيط بثمره) أي هلكت . فمعنى (وظنوا أنهم أحيط بهم) ظنوا الهلاك .

وجملة (دعوا ا مخلصين) جواب (إذا) . ومعنى مخلصين له الدين ممحضين له العبادة في دعائهم أي دعوه ولم يدعوا معه أصنامهم . وليس المراد أنهم أقلعوا عن الإشراك في جميع أحوالهم بل تلك حالتهم في الدعاء عند الشدائد . وهذا إقامة حجة عليهم ببعض أحوالهم مثل قوله تعالى (أغير ا تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون) .

وجملة (لئن أنجيتنا) بيان لجملة (دعوا) لأن مضمونها هو الدعاء .

والإشارة ب (هذه) إلى حالة حاضرة لهم وهي حالة إشرافهم على الغرق فالمشار إليه هو الحالة المشاهدة لهم .

وقد أكد وعدهم بالشكر بثلاث مؤكدات : لام توطئة القسم ونون التوكيد والتعبير بصيغة (من الشاكرين) دون لنكونن شاكرين لما يفيده من كونهم من هذه الزمرة التي ديدنها الشكر كما تقدم بيان خصوصية مثل هذا التركيب عند قوله تعالى (قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين) في سورة الأنعام .

وأتى بحرف (إذا) الفجائية في جواب (لما) للدلالة على تعجيلهم بالبغي في الأرض عقب النجاة .

A E